مذكرات سعد زغلول

تتميز مذكرات سعد زغلول بأنها كتبت لصاحبها ولم تكتب للجمهور وبالتالى فهى تتميز بنبرة الصدق والأمانة لأن أحداً لا يكذب على نفسه ، كما تنعدم منها الصفة الدفاعية عن النفس كما يحدث عادة فى نوع المذكرات التى تكتب لأغراض خارجية ، بل إن سعد زغلول فى هذه المذكرات ينقد نفسه نقداً لاذعاً ويدين نفسه فى بعض المسائل الخاصة ويسلم نفسه غنيمة سهلة لمن يريد أن يهاجمه بعد مماته .

لقد كان سعد زغلول على مستوى المسئولية الأدبية والشجاعة الفذة حين ترك هذه المؤلفات لبنى وطنه ، دون أن يجرى فيها أى تغيير أو تعديل على الرغم مما احتوته من جوانب شخصية بحتة كان فى وسعه تمزيقها بسهولة وإبقاء الجوانب العامة خصوصاً وأن كثيراً مما ورد فى هذه الجوانب الشخصية قد يؤثر على صورته العامة فى نظر البعض كزعيم امة وقائد ثورة لأنه يعبر عن مراحل الضعف الإنسانى الذى يحرص كثير من الزعماء على إخفاءه للحفاظ على صورة البطولة الوضاءة وحدها تخطف أبصارها الجماهير .

لكن سعد زغلول ترك هذه الجوانب الشخصية من المذكرات كما هى فأتاح لنا استكمال صورة شخصيته العامة لكى تعرف الجماهير أن البطولة ليست بطولة إلهية وإنما هى بطولة إنسانية وأن البطل هو بشر من البشر يخطئ ويصيب ويتعثر ويقوم ويضعف ويقوى وأنه لا إنسان معصوم من

الخطأ وإنما عليه أن يبادر بإصلاح هذا الخطأ مهما كلفه ذلك من جهد وثمن .

ولعل سعد زغلول وهو يترك شخصيته للأجيال فى صورتها الإنسانية كان يدرك أنه يتيح لذوى النفوس الضعيفة والأفكار المريضة أسلحة يسعون بها لطعنه إذا شاءوا ولكن إيمانه بغلبة الحق على الباطل والفكر الصحيح على الفكر السقيم دعاه إلى إبقاء كل ما كتبه على حالة .

وقد يظن احد الموت قد فاجأ سعد زغلول دون أن تتاح له الفرصة لتدبير هذه المسألة ولكن واقع الأمر يثبت العكس فعندما فتحت وصية سعد زغلول تبين أنه أوصى بأن تكون المذكرات فى حوزة خليفته فى زعامة الوفد بالاشتراك مع ابن شقيقته فتح الله بركات على أن يتولى خليفته نشر هذه المذكرات بالطريقة التى يراها وفى الوقت الذى يراه مناسباً ، وبشرط ان يراجع المذكرات من الناحية السياسية ويراجعها من ناحية الأسرة من يقع عليه اختياره لذلك ومنذ ذلك الحين انتقلت المذكرات إلى خزانة مصطفى النحاس الخاصة .

على أنه حين تعرض الوفد للاضطهاد على يد وزارة إسماعيل صدقى باشا عام ١٩٣٠ خشى مصطفى النحاس على المذكرات فنقلها من خزانته الخاصة إلى بنك مصر حرصاً عليها وقد ظلت المذكرات فى هذا البنك حتىعام ١٩٤٨ ، حين بدأ إسماعيل صدقى باشا فى نشر ذكرياته فى مجلة المصور وتناول فيها قصة تأليف الوفد المصرى وحاولة أن يسبغ على نفسه فيها الفضل الأول فى قيام الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية

الأولى . فعندئذ رأى الوفد تكليف محمود سليمان غنام بالرد عليه ، وقد طلب غنام من مصطفى النحاس السماح له بالإطلاع على مذكرات سعد زغلول لإعداد الرد فوضعها تحت تصرفه ونشر غنام سبع مقالات فى جريدة صوت الأمة ابتداء من ١٢ إبريل ١٩٤٨ إلى ١١ مايو ١٩٤٨ وكانت عبارة عن اقتباسات من مذكرات سعد زغلول .

على أنه لما كان الأستاذان مصطفى وعلى أمين فى ذلك الحين وهما من الورثة فى خصومة سياسية مع الوفد فقد اعترضا على النشر من المذكرات ولكن النحاس لم يأبه بهذا الاعتراض لمخالفته لما استقر عليه الاتفاق الذى حرر بينه وبين الورقة عموماً ، وأراد من غنام مواصلة الكتابة ولكن غنام خشى من فرض الحراسة القضائية على المذكرات فأعاد الكراسات التى اقتبس منها إلى خزانتها فى بنك مصر .

ولم تكن هذه المرة الأولى التى يستعين فيها الوفد بمذكرات سعد زغلول ، ففى يناير ١٩٣٥ وبمناسبة انعقاد المؤتمر الوفدى الكبير استعان مكرم عبيد باشا بمقتطفات منها فيما يتعلق بفكرة تكوين الوفد والقاها فى الجلسة الثالثة التى عقدت يوم الأربعاء ٩ يناير ١٩٣٥ .

وقد ظلت المذكرات فى خزانة مصطفى النحاس ببنك مصر حتى قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وألغيت الأحزاب ، فرفع ورثة سعد زغلول قضية يطالبون فيها برفع حيازة النحاس عن المذكرات ولكن القضاء المصرى حكم باستمرار هذه الحيازة فى إبريل ١٩٦٣ على أن النحاس رأى فى ذلك الحين إعطاء الدكتور محمد بهى الدين بركات بوصفه أحد ورثة

سعد زغلول حق الحراسة على هذه المذكرات وصدر حكم من المحكمة بتأييد هذا التنازل فتوجه أحد المحضرين إلى بنك مصر بقرار المحكمة ونقل المذكرات من خزانة مصطفى النحاس إلى منزل بهى الدين بركات .

ولم تلبث المذكرات أن أخذت تبرز إلى الضوء العام حين تقرر فى عام ١٩٦٣ أن تستعين لجنة كتابة تاريخ مصر بمذكرات سعد زغلول وقيام لجنة مشتركة من كل من وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للوثائق ولجنة إعادة كتابة التاريخ باستلام هذه المذكرات من الدكتور بهى الدين بركات والحارس عليها كما تقرر إعداد مشروع قانون بمنع أى هيئة أو فرد ومن رعايا الجمهورية العربية المتحدة من التصرف فى أى وثائق تاريخية او مذكرات أو إعارتها لأية هيئة أجنبية أو نقلها إلى الخارج إلا بعد الرجوع إلى وزير الثقافة والإرشاد القومى .